



معهد الفرقان للعلوم الإسلامية  
Al Furqan Institute for Islamic Sciences

# مُسْتَبْرٌ بِشَأْنِكُمْ

لآمَنَهُ بِوَجْهَارَةٍ

١٤٤٢/١/٧ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا و

حبيب قلوبنا محمدٍ وآل بيته الطيبين الطاهرين

عَظَّمَ اللَّهُ أَجُورَنَا بِمُصَابِنَا بِالْحُسَيْنِ (عليه السلام) ، وَجَعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ

الطَّالِبِينَ بِتَارِهِ مَعَ وَلِيِّهِ وَالْإِمَامِ الْمُهَدِيِّ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ .

ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة الواردة عن الامام الهادي عليه السلام " كَافِرٌ بَعْدُوكُمْ وَبِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ ، مُسْتَبَصِرٌ بِشَأْنِكُمْ وَبِضَلَالَةِ مَنْ خَالَفَكُمْ مُوَالٍ لَكُمْ وَلاَ وِلِيَاءِكُمْ ... و موضوع بحثنا حول المقطع الوارد في الزيارة (مستبصر بشأنكم)

و المراد بمُسْتَبَصِرٍ في كتب اللغة : اسم المفعول من إِستَبَصَرَ وأصل الكلمة من :

- البَصَرَ قوَّةُ الإبصار

- البَصَرَ قوَّةُ الإدراك والجمع : أبصار

ولقيته بَصْرًا: حين يُستطاع الإبصار عند اختلاط النُّور بالظُّلْمَة .

البصيرة هي البيئة التي يهتدي الانسان بسببها ، و يستطيع من خلالها التمييز بين الحق و الباطل و جمعها "بصائر"

قال الله عزوجل: ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾  
و قال تعالى ﴿ بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ﴾

والبصيرة رؤية القلب و الادراك الباطني واطلاقها على الانسان من باب زيد عدل أو التقدير الانسان ذو بصيرة على نفسه.

تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ٢٠ - الصفحة ١٠٦

و البصيرة نور في قلب الانسان المؤمن و رؤية ثابتة و نافذة تصل إلى بواطن الأمور و حقائقها و لا تتوقف عند الظواهر التي قد لا تعكس الحقائق و البواطن كما سيأتي التوضيح ، بل قد تكون الظواهر مخالفة تماماً للبواطن و الحقائق .

و قد روي عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال:  
"إِنَّ فِي كِتَابِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ، مَا أَلَيْنَ مَسَّهَا وَ فِي جَوْفِهَا السَّمُّ النَّاقِعُ، يَحْذَرُهَا الرَّجُلُ الْعَاقِلُ وَ يَهْوِي إِلَيْهَا الصَّبِيُّ الْجَاهِلُ"  
وسائل الشيعة

البصيرة موهبة من الله عز وجل و مَلَكَهٗ تحصل لدى الانسان البصير بفعل معنوي و توفيق رباني، و رغم تسمية الانسان الذي يتمتع بقدرة الابصار بصيراً إلا أن البصير هو من يتمتع بالبصيرة و البصيرة مرتبة أعلى من الابصار بالعين، لذا نجد الامام أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

- "ذَهَابُ الْبَصَرِ خَيْرٌ مِنْ عَمَى الْبَصِيرَةِ"
- "فَقَدْ الْبَصَرَ أَهْوَنُ مِنْ فَقْدَانِ الْبَصِيرَةِ"
- "نَظَرُ الْبَصَرِ لَا يُجْدِي إِذَا عَمِيَتِ الْبَصِيرَةُ"

عُرِّرَ الْحَكْمَ وَ دُرِّرَ الْكَلِمَ

## البصر و البصيرة :

البصيرة هي مقابل البصر، فالبصر هو الرؤية الخارجية بالعين، والبصيرة هي الرؤية القلبية.

ولذا يقال للبصيرة عين القلب، وبمعنى آخر هي وعي الإسلام بدقة من مصادره الحقيقية والتفاعل معه عقلاً وقلباً، والمعرفة التي تأتي عن بصيرة يعني تأتي من خلال التفكير والتأمل العميق في الأشياء يقول أمير المؤمنين (ع): (فإنما البصير من سمع فتفكر، ونظر فأبصر، وانتفع بالعبير، ثم سلك جديداً واضحاً ينتظر فيه الصرعة في المهاوي) لانهج البلاغة: الخطبة ١٥٣.

## الاستبصار بشأن الائمة عليهم السلام :

الاستبصار بشأن الائمة عليهم السلام ؛ معناه الادراك العميق - وليس السطحي أو العاطفي الساذج - لحقيقة الائمة عليهم السلام و عظيم منزلتهم عند الله .

صحيح ليس لأي انسان الاحاطة بحقيقتهم ومعرفة منزلتهم عليه السلام والوقوف على أسرارهم إلا أنفسهم عليهم السلام.

يقول الامام الخميني قدس سره: في كتابه الأربعون حديثاً

ص٥٩٧، ص٦٠٤. ص٦٠٥ "إن مقام هؤلاء الأولياء عليهم السلام أسمى وأرفع من أن تتال آمال أهل المعرفة أطراف كبرياء جلالهم وجمالهم، وأن تبلغ خطوات معرفة أهل القلوب ذروة كمالهم ، إن لأهل بيت العصمة والطهارة صلوات الله عليهم مقاماً روحانياً شامخاً .... ، يفوق قدرة استيعاب الإنسان حتى من الناحية العلمية وأسمى من عقول ذوي العقول وأعظم من شهود أصحاب العرفان"

ولم يقف أحد على حقائهم وأسرارهم صلوات الله عليهم إلا أنفسهم عليهم السلام، معتبراً "أن أرقى ما يصل إليه الذي يصف نبذة من مقام الولاية لهم هو كوصف الخفاش الشمس المضيئة للعالم"

### العباس ابن أمير المؤمنين (ع) و البصيرة :

ورد عن الامام الإمام الصادق (ع) في وصف أصحاب الامام الحسين (ع) الذين كانوا في كربلاء و قاتلوا معه و نالوا شرف الشهادة :

«إن أصحاب جدي الحسين (ع) هم أهل البصائر» كانت لديهم رضوان الله عليهم صفات عديدة ، كالشجاعة و القوة و و العشيرة و الوجاهة ، إلا أن الامام الصادق ركز على هذه الصفة و الخصوصية فالبصيرة أساسية .

لإن الانسان إذا كان يملك الدين، العشيرة، و الوجاهة ، ولا يملك البصيرة فلا فائدة من ذلك، بل ربما يتحول إلى جبهة الباطل .

الامام في الرواية السابقة أعطى وصفاً عاماً لأصحاب الامام الحسين عليه و على أصحابه السلام .

إلا أن الامام السجاد في رواية أخرى يُخصص الوصف بعمه أبي الفضل العباس (ع)

«كان عمنا العباس نافذ البصيرة» ما معنى ذلك ؟

الحكاية بدأت من أمه السيدة فاطمة ابنة حزام العامرية الكلابية التي عُرفت بـ أم البنين ، فهي سيدةٌ جليلةٌ القدر ذات بصيرة ، وكانت من أشجع بيوتات العرب .

■ تميز أبو الفضل العباس (ع) بصفات كمالية إيمانية وصفات أخلاقية منها: الإيمان بالله، والشجاعة، والإباء وعزّة النفس، وقوّة الإرادة، والرأفة والرحمة، والصبر، والوفاء والإيثار التي تجلت عظمتها وصورها في موقفه يوم كربلاء .

■ شخصية أبو الفضل العباس (ع) في الحقيقة هي شخصية صنيعة جهدٌ تربوي متكامل ، فقد تجلت فيه تربية أبويه و مرافقته لأخويه رفعتَه إلى مستوى العظماء والمصلحين الذين غيروا مجرى تاريخ البشرية جعلته يقدم التضحيات الهائلة في سبيل قضاياها المصيرية.

■ إذا أردنا استشعار جزء من عظمة العباس(ع)، فمن الإنصاف أن ننظر بعين البصيرة إلى تلك الأم الأصيلة التي غذته بحليب الوفاء والتضحية .

■ أبو الفضل العباس (ع) تربى على يدي أم البنين (ع) التي تجلّى في شخصها الكريم و سيرتها المباركة تجليات الإيمان والوفاء بعقيدة الإمامة والذود عن مبادئها، وسبل تثبيتها بكل ما تملك بحيث طبقتها على ذاتها قبل غرسها في فلذات كبدها.

لماذا تُعتبر أم البنين من الشخصيات الفريدة و الاستثنائية ؟

لأنه لا يمكن لأي امرأة أن تربى أبنائها إلى حد تتنكر لذاتها وتربي أبنائها و فلذات كبدها ليكونوا قرابين لأبن امرأة أخرى، إلا إذا كانت امرأة كأم البنين (ع) بحيث تمتلك من البصيرة و الإيمان والعقيدة في ولاية محمد وآل محمد ما يفوق تصور عقول البشر.

فإن العباس عليه السلام نشأ منذ صغره على مبدأ ( مستبصرٌ بشأنكم ) و تربي على يد أبويه على أساس هذا المنطلق و هذا الهدف بأن يُدرك و يعرف مقام أهل بيت النبوة .

## العباس مه الامام الحسين (ع)

أما العباس (ع) مع الامام الحسين لم يكن تعامله معه على أساس الأخوة فحسب بل من مقام ولايته عليه و من باب إمامته و قيمومته عليه، إذ أنه آمن به على أساس أنه تجلي لجلال الله و جماله ، و المصداق الأتم للدين الإسلامي و ذلك لبصيرته التي كانت نافذة ، و إيمانه و تصديقه بمقام أهل البيت (ع) و الذي استتبع :

التسليم: وهو عنصر أساس في تكوين شخصية المسلم الذي يسلم أمره لله و يتعبد بأوامره ونواهيه دون اعتراض كما رسم النموذج الراقى في ذلك خليلُ الله إبراهيم عليه السلام الذي مضى في ذبح ولده إلى مشارفِ النهاية مسلماً في ذلك أمره الله تعالى فاستحق ان يكون من أطلق تسمية المسلمين على عباد الله الصالحين يقول تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ و أوضح الله تعالى في كتابه أن التسليم لله لا يتحقق بدون التسليم لولي الأمر، بل لا يتم الإيمان حتى يتم التسليم له فيقول تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ من هنا كان القيمة في تسليم أبي الفضل العباس لأخيه الإمام الحسين عليه السلام.

التسليم لدى علماء الاخلاق، من جملة الفضائل التي ترد تدرج تحت عنوان (العدالة)، ويعني ان يرتضي العبد بأفعال الله تعالى، أو من لا يجوز الاعتراض على افعالهم ويقبل بها وإن ولم تكن متلائمة مع مايشتهي .

الطوسي، اخلاق ناصري، ص ٨٥ - ٨٦.

وأما في العرفان، فهو بمعنى الثبات وعدم تغير الظاهر والباطن حين نزول الرزية الجرجاني، التعريفات، ص ٨٥

و قد ذكر التسليم في الأدب العرفاني بمعنى التضحية بالنفس في سبيل المحبوب وترك الاختيار ، بمعنى الذوبان في المحبوب و إندكاك إرادة المُحب في الحبيب

و قد ضحى عليه السلام فادياً أخاه واقياً له حتى وصل إلى منزلة قال عنها الإمام زين العابدين عليه السلام: " رحم الله عمي العباس فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه فأبدله الله بهما بجناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وان للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة" الخصال - الشيخ الصدوق - الصفحة ٦٨

كل ذلك لأنه كان مستبصراً بعقيدته بمعشوقه و مقدماً إياه على نفسه لمعرفته بشأنه و منزلته عند الله عز وجل، هائماً فيه حد الاندكاك .

يقول الله تعالى " وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة " و الدك كما يذكر السيد الطباطبائي : تفسير الميزان - ج ١٩ - الصفحة ٣٩٧ هو أشد الدق وهو كسر الشيء وتبديله إلى أجزاء صغار .

نقول تَهَدَّمْ و صار دَكَّاءً؛ أي صار أرضاً مُسْتَوِيَةً "تدكدكت الأبنية" أي صارت مستوية بالأرض ، بمعنى لم يبق لها أثراً كل ما يرى الأرض الترابية .

و في الحقيقة هذا ما وصل إليه أبي الفضل العباس المستبصر بشأن إمامه و سيده و مولاه الحسين عليه السلام ، و المعشوق الذي دك إرادته في إرادته .



نعم إن مولانا أبي الفضل العباس وصل إلى مقام العشق ، فأحواله في كربلاء تحكي عن مقامه .

وصل إلى درجة :

يضيق الحلق حتى لا يعبر فيه إلا النَّفس الذي يصبح في القلب غصة من فرط ما يرى ما يحصل لمولاه ، وتجمع الهمة على المعشوق ، ويطيب الموت ، ونسيان النفس ، وبلغ مرتبة لا يطفئها إلا الوصل "

حتى إذا ما نادى الامام الحسين هل من ناصر ... اندفع إلى الميدان دون تردد لأن إرادته اندكت و انهدمت و تلاشت و ما بقى سوى إرادة المعشوق الامام الحسين (ع)

أفرط في العشق و كما عبر ابن عربي : طفح الود - منه - حتى يفني المحب والمحبوب .

والعشق الحقيقي ما غلب على صاحبه وألهاه عن الاشتغال إلا بمحبوبه " إن العباس كان عاشق

.... وعشق الروح له سمات ومعالم ، فكلما شرب الإنسان من بحره ازداد عطشاً .

ويشقى العاشق في عشقه شقاء لا يضاهيه ولا يدانيه إلا سعادته بقاء حبيته .

نعم تجلى استبصاره بشأن إمامه ، بإندكاكه إلى أجزاء وهو ما يذكره أرباب المقاتل ، فالعباس قدم جسده أجزاءً مقطعات ، و ذاك الجسم الذي عُرف بقوته و صلابته تبدل إلى أجزاء مفرقات كالجبل الذي اندك في الأرض فصارا و احداً ، أي أن وجود العباس إنك في وجود الامام الحسين (ع) و ما عاد إلا وجوداً و احداً و هو الحسين (ع)

إن حقيقة العشق تعني الانقطاع عن الذات ، و مالم يتحقق الانقطاع عن الذات و الخروج من بيت النفس فلن يتحقق الفناء و لن تتحقق التضحية و هذا ما فعله الكربلائيون و من بينهم أبي الفضل العباس صاحب البصيرة النافذة بشأن سيده و مولاه الحسين ابن علي عليهما السلام ، خرجوا من بيت النفس و دخلوا في عشق الحسين ابن أمير المؤمنين (ع)

و الحمد لله رب العالمين